التطور المعماري ومظاهره في المملكة السبئية قبل الإسلام

الأستاذ: محمد كاكـــي
جامعة الجلفة – الجزائر

المقدمــة

تبدو دراسة المعمار العربي في المملكة السبئية من الدراسات المهمة في التاريخ العربي القديم وذلك لما لها من أهمية في تاريخ وتطور مظاهر الحضارة العربية قبل الإسلام ن وتهدف دراسة الموضوع لإيضاح الصورة التاريخية لهذا الجانب المعماري ولأهميته في الحضارة السبئية ككل ، ومع ندرة وضعف الكتابة المتخصصة وجب تنويعنا لمصادر المعلومات ومنها الدوريات والأبحاث المتخصصة في تاريخ المنطقة وبالأخص مجموعة النقوش والمواد الموروثة .

ومن إشكاليات هذه الدراسة هي لغة المادة النصية في الآثارات السبئية التي لا يمكن قراءتها بشكل بسيط دون الاعتماد على ترجمة بعض ما نشر حولها ، وسنحاول الإجابة عن تلك التساؤلات بخصوص قوة ذلك المعمار السبئي ومدى تطوره وكيف أدار السبئيون ذلك الكم من المعمار وهذه الأسئلة كانت من المسوغات التي اقتضت اختيار هذا البحث ودراسة الموضوع وسنعمل على تقديم إجابات لذلك مدعمة ببراهين ، كما اعتمدت الدراسة على المنهج العلمي التاريخي بالوصف والمقارنة والتحليل بالإضافة لاستقاء المادة من مصادرها الأصلية نقوش وآثار وعلى تنويع المراجع والمصادر .

لقد كانت المملكة السبئية واحدة من بين أهم وأكبر الممالك في الجنوب العربي ، وقد تركت حضارتها العديد من الشواهد التي تدل على رصيدها وغناها ودورها في العالم القديم ، وسنحاول فهم إحدى جوانب هذه المملكة حضاريا من خلال مظاهرها المعمارية العديدة التي كانت من جهة انعكاسا لقوة ثرواتها .

المبحث الأول

التطور والنهضة المعماريين عموما

المطلب الأول/ عوامل نهضة المعمار السبئي :

أولا / زخم النشاط الاقتصادي وتراكم العائدات :

بفضل نشاط السبئيين التجاري على الخصوص واحتكارهم للكثير من المصادر والمواد والسلع وتنقلهم عبر الممالك اتسعت ثرواتهم وامتدت سيادتهم لأطراف الجزيرة العربية شرقا وغربا ، وقيل أنهم احتفروا الترع وبنوا السدود وحولوا الرمال لتربة خصبة وشادوا القصور والمحافد وتفننوا في تزيينها كما مدوا الأسوار وبرعوا في معمارها مثلما اغترسوا الحدائق ونوعوا ثمارها باستغلالهم لنظام الري وتصريفه وذلك لبراعتهم في بناء وترميم السدود .

ويؤكد المؤرخون أن سكان اليمن في العهد السبئي كانوا أكثر تحضرا ونمطا عمرانيا في الجزيرة العربية لأن بناء المحافد والقصور والمدن والهياكل ترقى لعصور موغلة في القدم وقد خلدت النقوش مختلف تلك المنجزات والهياكل المعمارية من طرف شخصيات وزعماء سبئيين (*) .

ثانيا/ وفرة الوسائل المادية والبشرية وتنوعها :

كان لسهولة توفر مواد البناء أثر مباشر فيما قام به سكان اليمن من انجازات معمارية بطابع هندسي أخاذ وإتقان رفيع في كل البيوتات والقصور والمعابد والأسوار، ولعل البيوت والقصور والمعابد كانت أبرز مظاهر العمران التي لقيت انتباه المؤرخين كمحرم بلقيس ومعبد أوام وسد مأرب (**) وقصر

(*) ورد ضمن النقوش والنصوص السبئية المكتشفة حديثا تعليقات عديدة حول منجزات معمارية قام بتنفيذها سبئيون من مختلف الفئات وأشهروها كتقربا وحمدا لآلهتهم أو كعرف إشهاري أو كتمييز في مكانتهم الاجتماعية ، ومن بين تلك المنجزات بناء معبد هوبس وعليه نقشت الكتابة السبئية القديمة ، وهي عبارة عن نص يخلد بناء المعبد بمنطقة مأرب شمالي المدينة خلال النصف ا لثاني من القرن 8 ق.م ، ومضمون النص << يثع أمر بن يكرب مالك | قد قام ببناء معبد هوبس >> . لمزيد من المعلومات أنظر : Christien darles , les temples , y.p.r.s, P . 133 . ؛ وهناك كتابة في نقش آخر بالمسند تخلد بناء معبد سبئي ، وهي بمثابة نص إهدائي يدعو صاحبه إيليقدم بذكره لأسماء آلهة معابد سبأ ويرد شعار ألمقه ، وهوبس إضافة لذكر أسماء بعض حكام وأمراء سبأ (كرب إيل الكبير ، سمهمو علي والأمير هالك بت ذمر علي) إضافة لشعار ألمقة وهوبس خلال القرن 7 ق.م ..، لمزيد من المعلومات أنظر : François Breton , Naissance et Destin de L'alphabet Sudarabique , y.p.r.s , P . 57 ؛ كما وجد مخطط القصر الملكي لشبوة عاصمة حضرموت وهو أحد أشهر المنجزات اليمنية في العهد الملكي السبئي . لمزيد من المعلومات أنظر : Jean François Breton , Shabwat : Capitale du Hadramawt , y.p.r.s ,P. 113 . (**) يرقى البناء المعماري الفلاحي للألف الأولى ق.م كما هو الحال في بناء سد مأرب العتيد حيث أشارت بعض الدراسات الأثرية التي أجريت ميدانيا على آثار هذا السد أن أسسه تعود لمطلع الألف الأولى ق.م وهي فترة حضارة يمنية راقية عرفتها المملكة السبئية في بدايات هذا الألف . لمزيد من المعلومات أنظر:الموسوعة اليمنية .../...

سلحين وقصر ود "وديح"[1] وبقايا قصر ناعط[2] وقصور أخرى كانت ببلاد اليمن ولازالت بعضها تحكي آيات ذلك الفن الخاص ببلاد الأرض السعيدة شكلا وزخرفة مثل ما هو الحال في قصر الحجر[3] .

وكانت اليمن على العموم بلادا غنية بالمعادن كالفضة بالرضراض وبالعفيف وجد العقيق والذهب كما وجدت أحسن أنواع الفضة في منطقة ألهان واستخرج العقيق بأنواعه والجزع من منطقة صنعاء واشتهرت ظفار بالجزع الظفاري إضافة لمعادن الحديد بأرض سليم في نقم وغمدان حول صنعاء وجبل الحديد حول عدن حيث صنعت منه مختلف الأدوات الإنتاجية للزراعة والري ، واستخدم الرصاص في العديد من الحرف وطلاء الأواني ومعدن الكبريت من ذمار والزجاج (الشب اليماني)الذي استعمل في الأدوية ودباغة الجلود ومعدن الملح بجبل الملح في مأرب وممالح تهامة ووادي السرحان حيث (قرى سباخ الملح المترامية)[*] .

كما وجدت مناجم لمعادن أخرى منها منجم حليت ويقع في حمى ضَرِيّة وكان يسمى النجادي[4] ويرى الهمداني أن معدن العقيق في نجد من أغزر معادن الذهب في الجزيرة العربية ، بينما يذكر ياقوت أكثر من عشرة معادن[5] وأشار أيضا لوجود عدة مناجم من معادن الذهب في اليمن[6] ، وهناك عدة مناجم للفضة في الجزيرة العربية في اليمن كمنجم شمام باليمامة[7] ، أما مناجم الحديد مثل منجم معدن

.../... الجزء.1 ص ص.211 . 213 وكان هذا السد آية المنجزات المعمارية حيث ظل صامدا وبدأت تصدعاته منذ النصف 2 من القرن 6 م . لمزيد من المعلومات أنظر: الموسوعة اليمنية ، المرجع السابق ، ص ص . 216 . 218 ؛ ومن مرافق سبأ المعمارية كان امتلاك السبئيين للقصور التي جعلت ملكتها تتطلع لما هو أكثر بهاء من قصورها السبئية حيث كانت زيارتها لأخذ الإلهام والحكمة والفنون من ملكها. لمزيد من المعلومات أنظر: الموسوعة اليمنية ، المرجع السابق ، ص ص.166.167 .

(1) Jean – François Breton , Villes et Villages , P . 104

(2) عدنان ترسيسي ، المرجع السابق ، ص . 31

(3) نفسه ، ص ص. 253 . 276 .

(*) وهي معادن كانت موجودة في أنحاء جزيرة العرب حتى الوقت العباسي ، ويعد معدن بني سليم من أغزر مناجم الذهب وسمي أيضا معدن فرّان . لمزيد من المعلومات أنظر : الهمداني , صفة جزيرة العرب, دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ، 1974 ، ص . 319 .

(4) البكري ، معجم ما استعجم ،ج.2 ،عالم الكتب ، القاهرة ، 1945، ص.264 ؛ الهمداني ،المرجع السابق، ص.329

(5) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج.2 ، ص.234 .

(6) الهمداني ، الجوهرتين ، ص. 139 .

(7) نفسه ، ص ص . 152 ، 129 .

رُغافة في اليمن الذي كان فيه خمسة عشر كيراً لسبك الحديد ومعدن قِساس في نجد [1] ، ومعادن العقيق والجزع في اليمن التي كان يصنع منها الخرز والفصوص والأواني البقرانية والسعوانيـة [2] .

وقد ترتب على وجود المعادن قيام بعض الصناعات المعدنية مثل صناعة الحدادة والصياغة كما ظلت صناعة الحدادة في اليمامة مزدهرة حتى القرن الخامس الهجري ، وكانت أسواق الصاغة مزدهرة في عدن وغيرهـا [3] .

إن وفرة مثل تلك الوسائل المادية كانت نتيجة للثروات الطبيعية ولإنتاج السبئيين لمحصول البخور وما يدره من أموال وصفه الكلاسيكيون بشكل خرافي وكان تصديره عاملا في زيادة التبادل التجاري [4] .

لقد توسعت نهضة المعمار الفلاحي بفضل ذلك الثراء ، فمنذ الألف 3 ق.م شهدت حقبة المكاربـة تطورا معماريا كبيرا فمن نجران وحتى السواحل الجنوبية للجزيرة العربية ومن سوحل البحر الأحمر حتى حضرموت ، ومنها توسع شبكات الري الصناعي وتطويرها [5] ، وهذا التطور المعماري والمالي كان نتيجة سيطرة سبأ على المنطقة تجاريا واقتصاديا ولعبها دورا محوريا في المنطقة [6] ، ولعل زيارة ملكة سب وحملها لأوراشليم أفخم أنواع الهدايا من سبأ لدليل على عنى المملكة السبئـة [7] .

لقد كان لتراكم الثروة السبئية مصادر أخرى منها ما كانت تجنيه من عائدات الضرائب التجارية من طرف التجار والقوافل العابرة لمدنها وأقاليمها عبر مختلف المسالك التجاريـة [8] .

---

(1) ياقوت الحموي ، المرجع السابق ، ج.3 ، ص. 35 ؛ ج.4 ، ص.345 .

(2) ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ، مطبعة بريل ، لايدن ، 1891 ، ص. 112 .

(3) الإصفهاني ، بلاد العرب ، ص ص . 254 ، 358 .

(4) جون فرانسوا بروتون ، العربية السعيدة في عصر ملكة سبأ ، حوليات يمنيـة ، 2002 ، ص . 15 .

(5) جون ف. بروتون ، المرجع السابق ، ص ص . 9 . 10 ؛ مهيوب غالب أحمد كليب ، الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر خلال الألف الأولـى ق.م ، ص. 335 .

(6) لوندين ، دولة مكربي سبأ ، موسكو ، 1971 ، ص. 136 ، ص ص . 204 . 205 ؛ مهيوب غ.أ.كليـب ، المرجع السابـق ، ص. 335 .

(7) التوراة ، سفر الملوك الأول ، الإصحاح 10 ، الآية 14 ؛ سفر أخبار الأيام الثاني ، الإصحاح 9 ، الآيات: 1 . 31 ؛ القرآن الكريم ، سورة النمل ، الآيات:22 . 24 ؛ كريستيان ج.روبان ، سبأ والسبئيون في حوليات يمنيـة ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ، 2003 ، ص . 23 .

(8) Strabon , Géographie de Strabon , xvi,iii, 2,3 ; Pliny le Grand , xii, 69 . ؛ مهيوب غالب أ . كليب ، المرجع السابق ، ص.350 ، شنت علاء الدين عبد المحسن ، التأثيرات الحضارية بين مصر الفرعونية وشبه الجزيرة العربية في العصر الحديدي ، دراسة نقدية ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد.11 ، المجلد . 1 ، القاهرة ، ص . 14.

المطلب الثاني/ تخليد وذكر المنجزات المعمارية(في النقوش والنصوص السبئية والأجنبية)

أولا/ حسب السبئيين :

لقد خلدت النقوش والنصوص السبئية مختلف المنجزات المعمارية ذات الطابع الديني (الجنائزي والتعبدي) كبناء وإنجاز أو ترميم الشواهد والمعابد والمذابح والهياكل أو ذات الطابع الفلاحي والزراعي كبناء السدود وترميمها ودعم وإنشاء الجدران والحواجز المائية ، ففي عهد المكاربة خلد كرب إيل وتر أنشطته ومنجزاته المعمارية كمشيد ومنظم وذكر تعداد المدن التي قام بتسويرها ، وهذا باتفاق المؤرخين على أن فن العمارة السبئي اتخذ نمطا فريدا من نوعه ، فهو قائم بحد ذاته لا علاقة له بالفن المعماري في أي بلد من بلدان الشرق (1) .

كما لم يغفل السبئيون عن تجسيد الكثير من منجزاتهم المعمارية في ألواح وجدران كانت بمثابة للإشهار والتوثيق وهذا العمل شمل تلك القصور والزخارف والصروح التذكارية التي شيدوها ومنجزات الري وتهيئتهم أو ترميمهم لها كما أشار المكرب لإحداث ثقب كبير في جدار صخري وبناء ثلاثة معابد ومنجزات لهياكل أخرى إضافة لعمليات تسوير المدن (2) .

فكتابة نقش النصر بصرواح تعود للقرن 8 ،7 ق.م حينما كانت صرواح العاصمة السبئية ، وتذكر مختلف المنجزات التي دشنها الملك المكرب كرب إيل وتر في وقت السلام كبناء قصر صالح ولأشغال الري في مأرب ولامتلاك قرى وأراضي زراعية لعشيرته فيشان Fayshan ولتنفيذه بشرف الآلهة هوبس وعثتر (Athtar et Hawbas) لأشغال الري في كل واحات منطقة مأرب (3) .

ففي الصحاري السبئية كانت الواحات من بين الأماكن التي أقام السبئيون فيها حواضرهم ودور سكناتهم وقصورهم مثل تلك المنشآت التي أقاموها في مأرب (4) ، وقد كان لتخليد المنجزات المعمارية لدى السبئيين دور طقسي وتعبدي لإشعار الآلهة وتقديم الحمد لها وطلب إبعاد الضرر (*) .

---

(1) عدنان ترسيسي ، المرجع السابق ، ص ص . 286 . 293 .

(2) Christian J.R ,Fondation D'un Empire , La Domination Sabéenne Sur Les Premiers Royaumes ,Y.P.R.S (2) PP . 93 – 94 .

(3) IBID , P . 96 .

(4) Ueli Brunner , L'oasis de Ma'rib , Y.P.R.S , PP . 77 – 78 .

(*) تظهر العديد من النقوش والنصوص السبئية المدونة بالخط المسند مدى ولع السبئيين بتخليد أنشطتهم اليومية على جدران وألواح مختلف المعابد والأضرحة والنصب والشواهد ومن بينها تخليد بناء معبد هوبس بمنطقة مأرب خلال النصف الثاني من القرن 8 ق .م . لمزيد من المعلومات أنظر: Christian Darles , Les Temples , P. 133 ؛ وتخليد بناء قصر بالخط المسند بمطقة ظفار على لوح معماري . لمزيد من المعلومات أنظر : Iwona Gagda , L'Arabie du Sud Unifiée par Himyar , Y.P.R.S, P.192 . .

وقد وصف اليونانيون القدماء المعمار السبئي ومنهم المؤرخ أغاثرخيدس الذي أشار لحياة السبئيين

وحضارتهم ومعمارهم ، كما دعمت الأدلة الأثرية المادية بعضا مما ذكره القدماء كبقايا أسوار المدن والأبراج والمعابد والقصور ومجموعات الأعمدة والتماثيل ومختلف المنجزات الهندسية وسد مأرب ومختلف النقوش السبئية بالمدن والمعابد وتمائيل الآلهة والزعماء المقدمة كإهداءات وقرابين[*] .

ثانيا/ حسب الأجانب :

دلت سلسلة الكشوفات والحفريات الأثرية على مختلف المنجزات الكبرى في المملكة السبئية كالممرات العميقة التي تمتد أميالا عبر الجبال وصخورها وحفر الأنفاق الطويلة وبناء السدود والحواجز الصخرية الضخمة وطواحين الماء والصهاريج الكبيرة ، وهذه المنجزات لم تخلد من طرف السبئيين عموما في نقوشهم كتخليدهم للمنجزات والمظاهر المعمارية الدينية والحياة الشخصية للزعماء والحكام أو للحروب والتوسع ، واقتصر الخط المسند على تدوين النذور والأنشطة الدينية وحياة الملوك[1] .

فقد وجدت بقايا معبد صرواح العظيم وكتاباته التي يقرا منها منجزات معمارية عديدة كبناء بابين من الصخر وإحداث ثقب كبير لجدار صخري له علاقة بالسد العظيم إضافة لهياكل أخرى، وأشارت اكتشافات المغامرين والباحثين الأجانب المعاصرين لغنى فترة المكاربة بالأحداث المعمارية ، كوجود بقايا معبد صرواح العظيم على مسافة 40 كلم من مأرب باتجاه الهضاب العليا واتسعت في كتلة كتابتان كبيرتان من 20 سطرا .

ومن بين حكام هذه الفترة الذين دونت مآثرهم وجد إسم المكرب الفاتح والموحد كرب إيل وتر بن ذمر علي (Karib'il Watar Fils de Dhamar Ali) والذي كانت الحوليات الآشورية قد أشارت له باسم (Karibilu) حيث كانت صرواح العاصمة السبئية وتكلمت الحوليات الآشورية عن مختلف منجزاته كبناء قصر صالح Salh ولأشغال الري في مأرب وامتلاك قرى وأراضي زراعية لعشيرته فيشان (Fayshan) وتنفيذه الجيد لأشغال الري في واحات مأرب[2] .

كما باشر المكرب يثع امر بين بحركة عمرانية واسعة شملت إنجار العديد من أسوار المدن وترميم السدود وحفر الآبار إضافة لبناء المعابد[3] .

(*) كما في نقش النصر الذي سجل فيه المكرب كرب وتر أحداث حروبه الواسعة من أجل توسيع دولته والقضاء على منافسيه. أو نقوش نذرية مرفقة مع تقديمات نذرية للآلهة عثر عليها في معبد أوام الذي كان مزاراً يحج إليه كل السبئيين ، لمزيد من المعلومات أنظر: بشير عبد الرقيب ، دراسة أثرية للمواقع القديمة من المعافر ، رسالة ماجستير ، قسم الآثار كلية الآداب ، جامعة صنعاء 2009 ، (الملخص) .

(1) Christian J.R , Fondation D'un Empire, PP.93- 94 .

(2) Christian J.R , Fondation D'un Empire , P. 96 .

(3) محمد عزة دروزة ، تاريخ الجنس العربي ، ص.50

المبحــث الثانـــي

مظاهر الفن والنهضـة المعماريين في سبـأ

كان المجتمع السبئي أحد الشعوب السباقة للتمدن حيث شاد الدول وأسس الشرائع وشاد المدن ومختلف الهياكل ، وأصبح تمدنه لا يقل شأنا عن تمدن معاصريه في آشور وفينيقية ومصر وفارس وذلك بما خلفته عبقريته من فنون المعمار كالقصور ولواحق الفن المعماري [1] ، كما كانت مظاهر هذا التطور المعماري وارتقاء فنونه نتاج تطور اقتصادي وتراكم الثروة واحتكاك السبئيين بثقافات الشعوب التي عرفت نهضة فكرية ورقي حضاري [2] .

فتطور حضارة السبئيين المعمارية كانت كذلك إحدى مظاهر استغلال الفكر واليد استغلالا جيدا في سبيل الرفاهية التي شاد بها الأجانب ، وتزامنا مع تلك النهضة المعمارية التي أقيمت فيها القصور والحصون وتم استيراد الآلات من العراق وبلاد الشام وإفريقيا وإقامة الأبنية حتى غدت حضارتهم لا مثيل لها في بقية أنحاء الجزيرة العربية [3] .

المطلب الأول/ مظاهر الفن والنهضة المعماريين عموما :

أولا/ المظهر المعماري :

لقد عد المجتمع السبئي من بين الشعوب السباقة للتمدن وقيل أنه شاد المدن والهياكل والقصور وذلك نتيجة رقي وتطور حياته الاقتصادية ونهضته الزراعية والتجارية ونشاط نخبه في البيع والاستثمار والنقل ، وبذلك أصبح هذا المجتمع قادرا على خوض نهضته الفنية والمعمارية وعمارة بلاده مثل معاصريه في آشور وفينيقية ومصر وفارس .

وكان لقدرة السبئيين على استخراج وتوفير بل وجلب مواد البناء انعكاس على ما قاموا به من نهضة معمارية بشكل هندسي وإتقان رفيع شمل كل الدور والقصور والمعابد والأسوار، وكانت البيوت والقصور والأسوار والمعابد من بين أبرز مظاهر العمران التي لفتت إليها انتباه المؤرخين كمحرم بلقيس ومعبد أوام وسد مأرب وقصر غمدان وسلحين ، وقيل ان بعض القصور كانت مذهبة السقوف والجدران كما كانت مشاربهم من الذهب [4] .

وقيل أن قصورهم وأبوابهم باتت مذهبة بعد ما لبسوا التيجان وتحكموا في تجارة البخور واللبان [5] .

---

(1) جرجي زيدان ، العرب قبل الإسلام ، ص.183 .

(2) مجلة المؤرخ العربي ، ع . 20 ، بغداد ، 1981 ، ص . 133 .

(3) حسين الحاج حسن ، حضارة العرب في عصر الجاهلية ، ط.1 ، ص . 29 .

(4) Ptolemy , Geography , Trans by Jones H, London , 1961 , T.3 , P.63.

(5) Strabon ,The Geography of Strabon ,Translated by Hamilton , London ,V.3 ,1937, P.177

ثانيا/ المظهر الفني "فن العمارة" : تميزت كثير من مظاهر المعمار بالفخامة ، فقد شاد السبئيون القصور التي كان بعضها مذهب السقوف والجدران والمشارب حتى بدى عنهم أنهم جميعا أغنياء وأن كل سبئي تاجر [1] .

فالسبئيون عندما أضحوا من الشعوب الغنية باتت قصورهم وأبوابهم مذهبة بعدما لبسوا التيجان وتحكموا في تجارة البخور واللبان [2] ، فمن خلال ملاحظة أبنية اليمن العديدة الطبقات نلمس الطراز المميز لفنون الزخرفة الخارجية واحتواء النوافذ الزائفة لإعطاء البناء شكلا فاتنا متناسقا في الجدران التي لا يحسن فتح نافذة فيها [3] .

إن فن العمارة في الجنوب العربي فريد من نوعه ورائع بمعالمه ، فهو قائم بحد ذاته لا علاقة له بالفن المعماري في العالم ، فمن ناحية البناء تقوم العمارة أساسا على محور متين وسطي مؤلف من قفص الدرج الذي يشكل بتصميمه المتين عامودا فقريا للبناء ، وبالتالي يتحول هذا القفص الركن إلى قاعدة للمبنى المتصل بها ، فوجود هذه القاعدة التي يرتكز عليها البناء يسمح بالارتفاع في المبنى إلى عدة طبقات .

ويبدو أن تصميم القاعدة كالعمود الفقري هي التي ساعدت مصممي الأبنية اليمنية منذ أقدم العصور ليشيدوا القصور متعددة الطوابق [4] .

المطلب الثاني/ وسائل وتقنيات المعمار السبئي :

قام اليمنيون بمنجزات معمارية عديدة استعملوا فيها مختلف التقنيات والأساليب ومنها تلك الحصون والقلاع كحصن "ذمر مر" الذي اختير موقعه على قمة منيعة مسيطرة على المنطقة من جميع الجهات وهو صعب المسالك والمرتقى مما يجعل من الصعب احتلاله ، وظل هذا الحصن حاميا لمدينة شبام حاضرة اقيال بني سخيم وسمعي كما يطل على وادي السر وقاع الرحبة ويقع حصن ذمرمر ومدينة شبام شمال شرقي صنعاء حيث لعب دورا كبيرا في فترة الحكم السبئي وذكرته نقوش القرن 5 ق.م مثل النقش رقم 600 الذي يشير لقيام معاهر بن جهاض بن ذخر سادن معبد ريام بالعديد من الأعمال الإنشائية في ذمرم منها إصلاح الطريق التي تؤدي للحصن وهي عبارة عن سلالم حجرية تبدأ من فوق مدينة شبام صعودا للمنحدر الصخري حتى أعلى الحصن بطريقة هندسية جميلة .

---

(1) Ptolemy , Géography , Trans by Jones H , London , 1961 , T.3 , PP. 63 -51 .

(2) Strabon ,The Géography of Strabo ,Translate by Hamilton , London ,3Vols ,1937,P.177,

(3) عدنان ترسيسي ، المرجع السابق ، ص . 273 .

(4) نفسه ، ص . 287 .

أولا/ وسائل البناء وكيفياته : استعمل السبئيون العديد من مواد البناء وتنوعوا في تحضيرها واستخدامها للوصول لقمم الجبال وإنجاز أضخم القصور وأشدها ارتفاعا ، كما تفننوا في إنجاز مختلف السدود الضخمة بين الجبال واستعملوا المواد التي يمكنها مقاومة السيول وشدة الضخ ، كما برعوا في استعمال المرمر والطين المشوي ونحتوا الصخر وجلبوا الرخام ومختلف المواد الثمينة واستعملوها في المنجزات المعمارية ولواحقها .

فمدينة صرواح وحدها تعج بالآثار المعمارية الشاهدة كمعبد المقة ، وقد أقيمت المدينة نفسها على تلة صخرية محاطة بسور كبير مازالت بعض أجزائه الضخمة قائمة إلى اليوم ، وفي الطريق من مأرب نحو صرواح التي تبعد عنها بنحو40 كلم جهة الغرب كان السبئيون يقيمون أحسن أنواع الأشكال المعمارية ويتفنون في تزيينها واستخدام مختلف الوسائل لإنجازها فقد أنجزوا ذلك السور البيضوي لمعبد ألمقة والذي يبلغ ارتفاعه 8 م إضافة لعدة معالم معمارية كانت موزعة في أرجاء المدينة .

وقد قام المعهد الألماني للآثار "فرع صنعاء" منذ سنة 1992 بإعادة تشكيل وترميم المعبد ومختلف لواحقه وشواهده لمعرفة تلك المواد وكيفيات استعمالها .

ويتوسط هذا المعبد(*) ذلك النقش العظيم المعروف بنقش صرواح ، وقام المعهد الألماني بأبحاث أثرية مكنت من معرفة وسائل البناء وكيفية إنجاز ذلك السور الذي بني إضافة للسور البيضوي وقد خصص لمساعدة بناء السور الخارجي للمعبد كما قام الأثريون باكتشاف ومعرفة كيفية بناء مرافق نظام تصريف المياه .

ثانيا/ طرق البناء وتقنياته : تميز المعمار السبئي بنموذج فريد في أسلوب البناء المميز عموما للعمارة في الجنوب العربي فقد تم اكتشاف العديد من المنجزات والهياكل المعمارية ، ففي مدينة صرواح تم اكتشاف 8 مباني كبيرة منها 5 معابد وحدها مبنى إداري يعود للقرن الأول الميلادي يقع شمالي صرواح ولم يتبق منه إلا منصة ضخمة يصل ارتفاعها إلى 2 م مبنية من الأحجار الجيرية المشذبة بعناية فائقة .

وتم اكتشاف قصر كمقر للحاكم السبئي يرجع تاريخه لنهاية القرن 2 ق.م ويتكون من منصة وساحة أمامية محاطة برواق ، كما دلت المسوحات التي أجريت في سهل صرواح على بقايا معمارية لمرافق استغلال المياه منها السدود والمصارف والقنوات المحفورة في الصخر ، وآثار استيطانية على طول الوديان الصغيرة إضافة لوجود مئات النقوش الصخرية السبئية المنتشرة عبر الجبال المحيطة ، ووجد

(*) إضافة لتلك النقوش الموجودة على الوجه الخارجي للسور البيضاوي للمعبد والتي يرجع بنائها للقرن 7 ق.م في عهد المكرب السبئي "يدع إل ذرح" كما تم تشكيل مدخلان للمعبد من الجهة الغربية لهما أعمدة وفناء مرصوف يؤديان لفناء المعبد ، إضافة لوجود مرافق مقدسة تستعمل لطقوس العبادة ومجالس وطاولات حجرية ومذابح وقواعد للنذور .

لمزيد من المعلومات أنظر : صرواح مدينة سبئية تعج بالآثار : HistoricalCities. WordPress.Com, 21/03/2009.

سور طويل في السهل تحيط به سلسلة جبلية ويبلغ طوله عدة كيلومترات وارتفاعه متران قد يكون استخدم كحاجز لصيد الحيوانات[1]، وهذه الهياكل والمنجزت تتشابه مع مختلف المنجزات المعمارية المنتشرة في المدن السبئية القديمة في طرق بنائها وتقنيات تنفيذها من حيث الأعمدة الطويلة الضخمة والنوافذ الزائفة والبلاط المرمري والساحات المرصوفة والقصور المزخرفة المتعددة الألوان مع الإشارة لكثرة النقوش والتماثيل والملاحق المعمارية ومختلف المجسمات الحيوانية والبشرية والنباتية ذات الطابع التزييني والديني والترفيهي[2].

---

(1) Jean François Breton , Villes et Villages , PP. 103 – 106 .

(2) Burkhard Vogt , Marib : capitale de saba , PP. 107 – 109

المبحـــث الثالـــث

مختلـف المشاريـع والمنجـزات المعماريـة

المطلب الأول/ مشاريع ومنجزات الري والمعمار الفلاحي :

أولا/ مشاريع الري عمومـا :

نبغ السبئيون واهتموا بالمنجزات المعمارية الفلاحية ، فمنذ عهد المكاربة قام المكرب ذمار علي وتر بتحسين وسائل الري واستصلاح الأراضي المحيطة بها واستغلالها في الزراعة كما بنى على مقربة من مأرب فتحة لتنظيم تصريف المياه التي كانت تسير في القناة اليمنى إحدى القناتين اللتين كانتا تخرجان من سد مأرب وما زالت بقايا جداري هذه الفتحة حتى الآن في جنوب المدينة أمام الباب الرئيسي من السور المواجه آنذاك لمعبد أوام أي محرم بلقيس وهذه الفتحة بنيت أمام هيكل الإله عثتر[1] ، وقام المكرب كرب إيل وتر آخر المكاربة وأول الملوك والذي حكم سنة620 ق.م أو سنة 610ق.م[2] أو سنة 410 ق.م[3] بمشروعات مختلفة للري وإنشاء خزانات للـري :

أ) السدود والحواجز المائية : في عهد المكاربة قام المكرب يثعمر بين "يثع أمر بين" بإدخال عدة تحسينات على سد مأرب وبنى سد حبابض وسد مقرن وأوصل مياهه إلى أبين وبنى سد يثعان وأوصل مياهه إلى أبيـن[4] .

فالمكرب يثعمر بين كانت منجزاته هندسية وفكرية مكنت بفضله الفلاح السبئي من الاستفادة من الطبيعة ، وقد ظلت مشاريعه الاروائية لعدة قرون مصدر خير لأنها حولت المنطقة لجنات مثل أذنـة ووادي الخادر ، وكان اهتمامه بالسدود كبيرا ومنها عمله على زيادة سد رحب طولا وعرضا وارتفاعا بل وأقام سدا آخر كبيرا هو سد حبابض[5] ، وحكم هذا المكرب سنة 640ق.م حسب بيستون[6] وفلبي[7] وهو المكرب 12 حسب قائمة شرف الدين(640 . 620 ق.م) كما بنى سد مقرن وأوصل مياهه لأبين وبنى سد يثعان وأوصل مياهه إلى ابين ، ولذا فإن هذا المكرب قد قام بأعمال هندسية كبيرة في مجال الري للاستفادة من مياه الأمطار ، وكان حكام سبأ على حركة دؤوبة مع مشاكل السدود .

---

(1) مهران م.ب ، المرجع السابق ، ص . 279 .

(2) Philby , Op .Cit , P . 141 .

(3) Weismann , Op . Cit , P . 302 .

(4) جواد علي ، المرجع السابق ، ج . 1 ، ص . 138 .

(5) أحمد فخري ، الاكتشافات الأثرية في اليمن ، ص . 235 ; Philby , Op . Cit , P . 141 .

(6) Beeston , Op . Cit , P. 45 .

(7) Philby , Op . Cit , P . 141 .

ومن عوامل تفوق السبئيين في عمارة السدود نجد عامل البيئة حيث فرضت البيئة السبئية على هذا الشعب أن يتقن هذا الفن المعماري الفلاحي ، ونجد مشروعات مختلفة للري مثل الخزانات والجسور والحواجز المائية التي عرفها عهد كرب إيل وتر، وقلما تخل مناطق سبأ من توفر المياه بسبب براعة السكان في أسلوب الفن المعماري الزراعي لحجز مياه الأمطار ومختلف السيول [1] ، وتدل الآثار المعمارية على طريقة تنظيم وصرف المياه وكيفية تخزينها حيث اكتشفت مجموعات ضخمة من الأنقاض والجدران والكتل الحجرية التي توحي بالدور الحضاري الذي قام به شعب سبأ في السيطرة على الثروة المائية واستثمارها [2] .

وقيل أن السبئي احتفر الترع وبنى السدود وحول مساحات من الرمال لتربة خصبة فاغترس الحدائق حتى صارت البادية جنة عامرة ، وإذا تصدع السد رمموه ، وهذا الترميم يعنى تخصص المهندس المعماري والبناء السبئي في مشاريع الري ، ونتيجة لهذا الترابط والوعي كان تراكم الثروة في سبأ التي بالغ بعض المؤرخين في وصف أراضيها << وكانت الزراعة في تحسن مع مشقة الري في بلاد تنعدم فيها الأنهار ماعدا سقيها من السيول في الشتاء ، فإذا أقبل الصيف شحت المياه ويبس الزرع ولذا أنشؤوا سدودا كبيرة كالجبال يحجزون المياه في الأودية حتى ترتفع ويسقوا بها المرتفعات ويصرفون إليها المياه من نوافذ حسب الحاجة والخزانات هي السدود وأعظمها كان سد مأرب >> [3] .

وكانت عملية إصلاح وترميم السدود مستمرة لدى السبئيين وهي من المهام الوطنية التي تسخر لها كل الإمكانيات المادية والبشرية ، ففي النقش الموسوم بالرمز H670 يشير صاحباه القيلان القبليان (شرحعثت أشوع وإبنه مرثدم من سخيمم) بكون سيديهما الملكين (ثاران يهنعم وملكيكرب يهامن) قد كلفاهما بقيادة جيش الأعراب والتوجه للسد(عرمن) عند موضع حبابض ورحبتن الذي تداعت جدرانه ومبانيه وأحواضه وسدوده الفرعية ومصارفه الواقعة بين حبابض ورحبتن ، فحمدوا الإله كثيرا لأنه حبس المطر والسيول حتى أنجزاو العمل وأسس وجدران السد ولتوفيقهم في خدمة سيديهم ثاران يهنعم وملكيكرب يأمن ملكي سبأ [4] .

كما حدث في عهد الملك شرحبيل يعفر بن أسعد الكامل ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم قيامه بإصلاحات في سدود مأرب ومحاجر وادي يسرن في شهر ذو ثبتان عام 420 م [5] .

---

(1) بافقيه م .ع ، المرجع السابق ، ص. 63 ؛ جواد علي ، المرجع السابق ، ج .1 ، ص 138 .

(2) جرجي زيدان ، العرب قبل الإسلام ، ص.263 .

(3) نفسه ، ص. 188 .

(4) جواد علي ، المرجع السابق ، ص .564 .

(5) أحمد حسين شرف الدين ، المرجع السابق ، ص .229 .

لقد قام السبئيون بمنجزات في هذا المجال وبخاصة إنجاز مكاربتهم الذين حفروا الكثير من قنوات المياه وانشؤوا السدود التي اقاموها عليها مثل سد مقران الذي أوصل المياه عبر قناة إلى منطقة أبين وسد يثعان وغيرها ، وأهم هذه السدود كان سد مأرب الموجود بوادي ذنة الذي تقع مدينة مأرب عند حافته الشمالية ، حيث يقع بالقرب منها جبل بلق الذي يشقه وادي ذنة إلى نصفين هما بلق الأيمن وبلق الأيسر، وهناك أقام المأربيون سدهم العظيم في مقدم الوادي لحجز مياه السيول الواردة من أعالي الجبال المحيطة بالوادي المؤدي إلى منخفض عظيم حيث استخدم لتخزين المياه خلال موسم الأمطار [1] ثم تهدم هذا السد بسبب السيول العظيمة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم باسم سيل العرم ، ولعل تراكم الطمي في منخفضه مع تصدع السد على مر السنين التي تجاوزت قرونا عدة جعل ملوك سبأ يعملون على صيانته وترميمه وتعليته وكان آخرهم شرحبيل يعفر الذي حكم اليمن خلال القرن 5 م وبإهمال الصيانة والترميم وغيرها بدأ السد بالضعف والتدهور ثم الانهيار .

كما أثبتت الاستكشافات الحديثة في جنوب الجزيرة العربية في حضرموت وأرض عاد (منطقة الربع الخالي) أنهم استخدموا في هذه المناطق الصهاريج الصخرية تحت الأرض لتخزين المياه ولعلهم استخدموا الأفلاج لسقاية مدنهم وبلداتهم لري مزروعاتهم أيضا [2] .

1) سد مأرب : لم يكن سد مأرب المنجز المعماري الضخم والفريد أول عمل إنشائي حققته المدنيات القديمة المتعاقبة على اليمن ، بل كان بين إحدى الانجازات لضبط المياه وتخزينها لحسن استعمال الري حيث سبق بناء هذا السد إنجازات متنوعة لا تزال آثارها ظاهرة أو مدفونة في أماكن عديدة من اليمن فأعمال الاستفادة من تخزين المياه مع دقة توزيعها لم تبدأ بإنشاء سدا يناهز طوله 650 م وعرض قاعدته 60 مترا فقط ، بل لا بد أن تكون قد سبقته منشآت فنية وهندسية مماثلة .

ونرى آثار هندسة رائعة وأسوار ضخمة لمدن كثيرة في منطقة الجوف الداخلية قد أطلعتنا على مدى تلك الحضارات الحضارات في معين وسبأ وقتبان وأوسان وحمير وذلك منذ ما يزيد عن 3000 عام ق.م حيث أنها تزامنت مع مدنية الفراعنة التي ترقى لما قبل5000 سنة ق.م ، وتقديس الجسد وتحنيطه وبناء المعابد الضخمة والأهرامات العملاقة من أجله اقتضت الحصول على محاصيل المر واللبان وهي المادة الراتنجية التي لا توجد إلا في بلاد بونت وهي محور الصومال واليمن، ولما ازدهرت العلوم والحضارة آنذاك في وادي النيل كان لابد من الازدهارفي البلدان المتعاونة معها وذلك منذ ما لايقل عن5 أو6 آلآف سنة ق.م [3] .

---

(1) بافقيه م . ع ، المرجع السابق ، ص . 196 .

(2) جواد علي ، المرجع السابق ، ج.2 ، ص.510 .

(3) عدنان ترسيسي ، المرجع السابق ، ص . 47 .

لقد بدأ في وضع حجر أساس هذا المشروع منذ عهد المكرب سمه علي ينوف ، أو على الأقل بدأت دعائمه الأولى تتوضح وذلك على فم وادي أذنة بمأرب انطلاقا من سد رحب لحجز مياه الأمطاروالسيول والإفادة منها في ري مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية كما أجرى المكرب كرب إيل بين إضافات على هذا السد وذلك ما نجده لذكر اسمه على الصدف الأيمن لهذا السد .

* ترميماته وإصلاحاته الكبرى : من خلال ما يصوره نقش النصر بصرواح حول حملات وحروب المكرب كرب إيل وتر الجوارية فإنه يشير إلى أن هذا المكرب قد أضاف عدة إصلاحات جديدة إلى المساقي المتنوعة من سد مأرب من ناحية يسرن من وادي أذنة ، وهي إشارة تدل على أن هذا السد كان قائما حينئذ ومنذ عهد سبأ المكربية المتأخر على الأقل[1] .

* بداية تصدعه : ففي عهد ملوك سبأ وذي ريدان "المرحلة الأولى من العصر الثالث" ذكر المؤرخون بداية تصدع كبير شهده سد مأرب ، ونظرا لكثرة الحروب والاضطرابات في العهد المتأخر من هذه المملكة[2] ، أو كما تم بفعل عمليات تخريب أو تأخر في عمليات الإنجاز "والترميم" .

* بناؤه : يبالغ بعض المؤرخين الإخباريين العرب في كون هذا السد يرجع بناؤه إلى عهد عبد شمس "سبأ"[3] وقيل أن هذا السد تم بناؤه عبر مراحل طويلة[4] ، فقد وجد إسم المكرب كرب إيل وتر على الصدف اليمن لهذا السد وهذا يعني أن له علاقة بذلك[5] ، كما أدخلت عدة إصلاحات عليه في عهد المكرب يثعمر بيين بن سمهعلي ينوف "640 . 620ق.م"[6] وهو من خلفاء سمهعلي ينوف الذين أضافوا على جوانب هذا السد[7] . أنظر سد مأرب وملحقاته : ش. 1(أ،ب،ج) ، ص .15 .

2) سد رحب : ففي عهد المكرب يثع أمر بين ابن سمه علي ينوف تم إدخال تحسينات على سد رحب الذي يعود لفترة سابقة عن حكمه وفتح له فروعا وثغرة في منطقة صخرية لوصول المياه لأرض يسرن وزاد من تعليته وتقويته ، فقد قام المكرب سمه علي ينف بن ذمر علي ذريح بتنفيذ أعظم مشروع للري عرفته بلاد العرب في العصر القديم وهو إنشاء سد على فم وادي أذنة بمأرب وهو سد

---

(1) محمد عبد القادر بافقيه ، المرجع السابق ، ص . 65 .

(2) السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص . 112 .

(3) أحمد حسين شرف الدين ، المرجع السابق ، ص . 67 .

(4) نفسه ، ص. 73 .

(5) نفسه ، ص 74 .

(6) منذر عبد الكريم البكر ، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ص . 212 .

(7) جواد علي ، المرجع السابق ، ج .1 ، ص . 138 .

أ / أطلال وبقايا أثرية لسد مأرب . عدنان ترسيسي ، المرجع السابق ، ص . 111 .

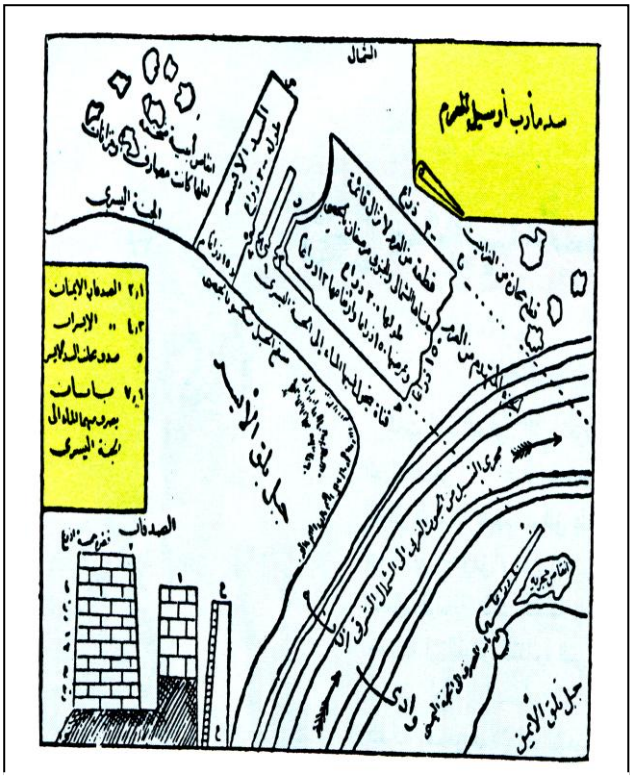

ب/ مخططات وتصاميم لسد مارب الشهير، وهو الأشهر والأكبر في العالم القديم . موسوعة المعرفة ، كتاب المعرفة، نشأة القارات، شركة إنماء النشر والتسويق، بيروت ، 1986 ، ص. 53

ج/ سد مأرب القسم الجنوبي ، بقايا آثار السد منذ الألـف 1 ق. م . Pierre Gentell , la Maîtrise De L'irrigation , Y. P . R . S , P. 76 .

ش.1 (أ،ب،ج)

رحب من أجل حجز مياه الأمطار والسيول والإفادة منها في ري مساحات كبيرة من الأراضـي [1] .

وكان سد رحب الذي عمل المكرب سمه علي ينوف على إنجازه كأكبر مشروع للري في المملكة بداية لتضخيم مشروع سد مأرب الذي بقيت محاجره وحواجزه صغيرة وبدائية وبالتالي شيد سد رحــب للسيطرة على مياه الأمطار والإفادة من سيولها ، وظل توسيع السد وتضخيمه قائما على مر الأيام حتى اكتمل في نهاية القرن 3 م على أيام الملك شمر يهرعش الذي نظم وسائل الري وأضاف مساحات كبيرة للأراضي الزراعية[2] ، فالمكرب سمه علي ينف ابن ذمر علي وتر الذي حكم سنة 660 ق.م حسب فلبي[3] ، أو سنة 515 ق.م حسب وايزمان[4] فقد بنى سدرحب "رحاب" قصد السيطرة على مياه الأمطار والاستفادة من السيول من أجل الزراعة والتحكم في المياه وهذا يدل على اهتمام السبئيين بالزراعة وبناء السدود منذ وقت مبكر من تاريخهـم .

3) سد الجفينــة : وهو سد قديم يقع على مسافة 8 كلم إلى الجنوب الغربي من مدينة مــأرب ويرتبط بمنظومة سد مأرب العظيم ، ويعود للعصر السبئي الأول وهو سدا تحويليا لما يفيض من مياه السد العظيم ، وشيد بهدف زيادة مساحة أراضي الجنة اليسرى وله أربع قنوات لتوزيع المياه مبنيــة بأحجار مهندمة يتصل بها عدد من الجدران الساندة يصل ارتفاعها إلى10م ويبلغ طول بعضها حوالي 300 م أما عرض أساسات الجدران فتصل إلى 4 م عند القاعدة وبين متر ونصف إلى متر أعلــى الجدران ، وقد أصيب بالتصدع وأعيد بناء جدرانه بأحجار بركانية غير مهندمة غطيت بمادة القضاض التي يرجع استعمالها على العصر السبئي الثاني بيــن : 350 . 100 ق . م[5] .

4) سد المنشاة "التحويلــي" :

3) سد هبذ : قام المكرب يثع أمر بين ببنائه

4) سد حبابض : وتم بنائه في عهد المكرب يثع أمر بين .

ب) الآبار والصهاريــج :

لقد استخدم اليمنيون تقنيات عديدة لجمع وتخزين وتنظيم المياه وخاصة في الماطق المرتفة وعلى سفوح الجبال وكان ذلك يتم عن طريق حفر قنوات تحول إليها مياه الجريان السطحي الناتج عن الهطل المطري ومن ثم تحفظ هذه المياه في حفر كبيرة أو خزانات أرضية لتستخدم لأغراض الشرب أو الري في فترات الجفاف ، واستخدمت هذه التقانات قديماً أيضاً

---

(1) السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص . 111 .

(2) مهران م.ب ، المرجع السابق ، ص . 279 .

(3) Philby , Op . Cit , P . 141 .

(4) Weismann , Op . Cit , P . 145 .

(5) عبد الحكيم طاهر ، مأرب عنوان الحضارة السبئية وموطن الكنوز والآثار ، جريدة 26 سبتمبر الأسبوعي ، العدد 1175 ، 2011/9/19 ، ص.30 .

للأغراض الزراعية في مساحات صغيرة اعتمدت الحضارات القديمة المجاورة لليمن كما في حضارات شمال الجزيرة ومحدودة ، كما العربية على بعض هذه التقنيات المائية وخاصة في المناطق الجافة ، حيث كانت الأنظمة المائية فعالة وعملية بالرغم من كونها بدائية وتعتمد على الجهد البشري في إنشائها ، ومن أمثلة هذه التقانات استخدام أسطح المنازل أو الصخور الجرداء لحصاد المياه ومن ثم تخزين هذه المياه في آبار تجميعية وبرك أو إنشاء السدود والسلاسل الحجرية ، إضافة إلى استخدام الممارسات الزراعية الملائمة للإنتاج تحت الظروف الجافة والقاسية .

وتمكن المزارعون من توجيه مسار الوديان وإنشاء القنوات الموجهة للمياه من مناطق الوديان إلى مناطق ذات ترب عميقة ومستوية وصالحة للزراعة ، كما بلغت تقنيات المياه أوج ازدهارها في الجنوب العربي حيث نجد المنشآت المائية كالحفائر والبرك القديمة وآبار التخزين الجوفية وعدد كبير من هذه الأنظمة لا زال يعمل ويستخدم [1] .

ثانيا/ مشاريع الري الثانوية :

أ) المآجل والغيول : حيث أقام السبئيون المآجل عند ينابيع العيون والغيول في المواسم التي يقل فيها منسوب المياه لتجميعها وإيصالها إلى الأراضي الزراعية البعيدة .

ب) البرك والسواقي : وهي وسائل لحصر مياه الينابيع السطحية وتجميع مياه الأمطار والسواقي لتصريفها لأعمال الري وحاجيات الإنسان والحيوان [2] .

المطلب الثاني/ مشاريع ومنجزات المعمار الديني والجنائزي :

أولا/ المعمار الديني (المنجزات والهياكل) :

أ) المعابد(أشكالها ومجموعاتها ومواقعها) :

تذكر النقوش أهم المعابد ومؤسسيها من الملوك والأثرياء ومنها ما ورد حول المكرب يدع إيل ذرح إبن سمه علي والذي حكم سنة 780 ق.م بتسوير معبد الإله ألمقه بصرواح وقدم ثلاثة قرابين للآلهة حريمت زوجة الإله ألمقه وبنى للإله ألمقه وإبنته عثتر معبدا بمدينة مأرب وأنه قام ببناء جدار بمعبد ألمقة بمأرب كما قام بإنجاز دعائم في معبد صرواح [3] ، كما تذكر النقوش أن المكرب يثعمر بين (المكرب التاسع) إبن وخليفة سمه ينوف قام ببناء معابد مرشوم وأنسور وريدان "بظفار" [4] وبنى معبدا

---

(1) تاريخ استخدام تقانات حصاد المياه في المنطقة العربية ،المنظمة العربية للتنمية الزراعية ،الخرطوم ،1999،ص.34

(2) الحمادي هزاع محمد عبد الله ، المرجع السابق ، . 66 ; Miller J . L, Op . Cit , PP.2-10 .

(3) أحمد فخري ، المرجع السابق ، ص . 225 .

(4) جواد علي ، المرجع السابق ، ج .1 ، ص . 138 .

للآلهة ذات حميم في حنن وعدة أبنية في معبد ذهب ومذبحا عند باب توم للاحتفال بموسم صيد عثتر

وقام بعده المكرب يثع أمر وتر بتجديد معبد الإله هوبس[1] وتشييد معبدا يسمى مقرب ، وكان بيتا (معبدا) للإله ألمقه بقرية دبير بالجوف بين مأرب ومدن معين ويرى آخرون أنه جدده فقط احتفالا بإدخال بعض التنظيمات الاجتماعية التي تخص الآلهة في كثير من جوانبها .

قام المكاربة والملوك في سبأ بتشييد المعابد في كل نواحي المملكة ومتابعة ترميمها وتوسيعها وتسويرها وتجهيزها ، فقد شيد المكرب يدع إل ذرح ابن سمه علي سنة 780 ق.م معبدا رئيسيا "مقرب" وكان بيتا لألمقة احتفالا ببعض التنظيمات الخاصة بالإله وبالحامي "المكرب" وبالإتحاد الاجتماعي للسكان[2] وبتسوير معبد الإله ألمقة بمدينة صرواح وتقديم ثلاثة قرابين للآلهة "حرمت" زوجة الإله ألمقة وبنى للإله ألمقة وإبنته "عشتر" معبدا بمدينة مأرب .

كما قام بعده المكرب إل يثع أمر بتجديد معبد الإله هوبس[3] ، وأنشأ المكرب يثع أمر وتر معبدا للإله القمر بقرية دبير بالجوف بين مأرب ومدن معين ، ويرى آخرون أنه جدده فقط ، كما تم بناء معبد نسور ومعبد علم ومعبدا في ريدان ومعبدا للآلهة ذات حميم في حنن ومذبحا عند باب توم للاحتفال بموسم صيد عشتر .

1) أشكال المعابد وأساليب بنائها: تشهد العديد من الآثارات اليمنية على انتشار مراكز العبادة بالمدن السبئية القديمة ، ففي مدينة مأرب ومحيطها عثر على مجموعة صفوف من الأعمدة الصخرية تمثل مدخل معبد ورواق أمام بوابة المعبد وثمانية أعمدة متوازية في معبد أوام Awwam المكرس لعبادة الإله ألمقة إضافة لأشكال أخرى لمعابد داخل المدينة . **لاحظ معبد أوام"ألمقة" وملحقاته بمأرب : ش.2(أ،ب،ج)، ص .19 .**

وكانت المعابد السبئية بيضاوية الشكل أو مربعة مثل معبد مأرب الكبير ومعبد خور روي المربع التصميم شرقي حضرموت[4] ، وقد أسس حكام سبأ مجموعة ضخمة من المعابد حيث قام يدع ال ذرح سنة 750 ق .م بتأسيس معبد الإله ألمقة بصرواح وبناء معبد آخر لألمقة في مأرب ، كما أسس إبنه وخليفته يثع أمر معبدا للإله ألمقة في دابر بالجوف[5] .

---

(1) منذر عبد الكريم البكر ، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ص . 219 .

(2) نفسه ، ص . 258 .

(3) نفسه ، ص. 219 .

(4) سباتينو موسكاتي ، المرجع السابق ، ص. 199 .

(5) السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص .110.

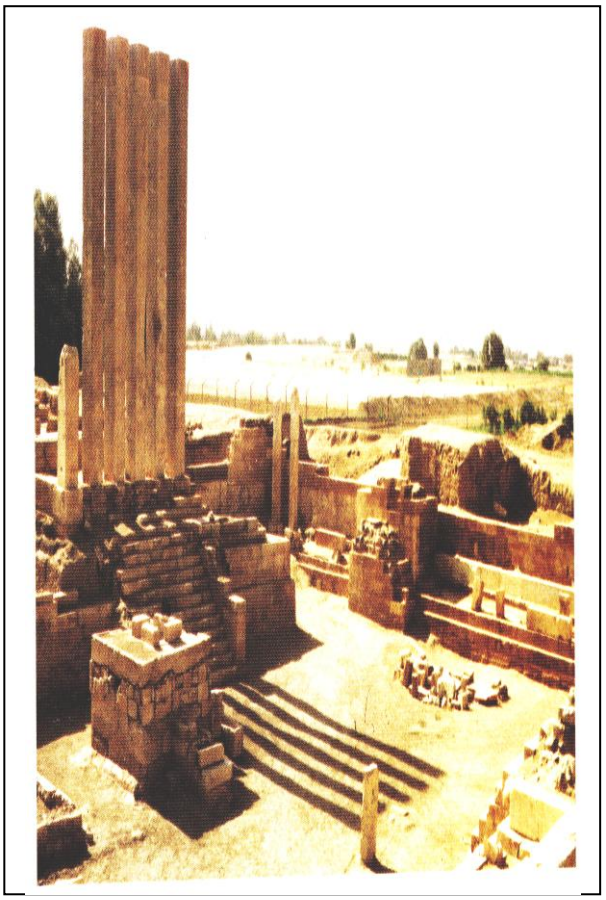

أ / مشاهد لبقايا أعمدة وأطلال لآثار معبد ألمقة الكبير بمأرب وهياكل أخرى . , Burkhard Vogt . Marib:Capital .De Saba ,Y.P.R.S , P.107 .

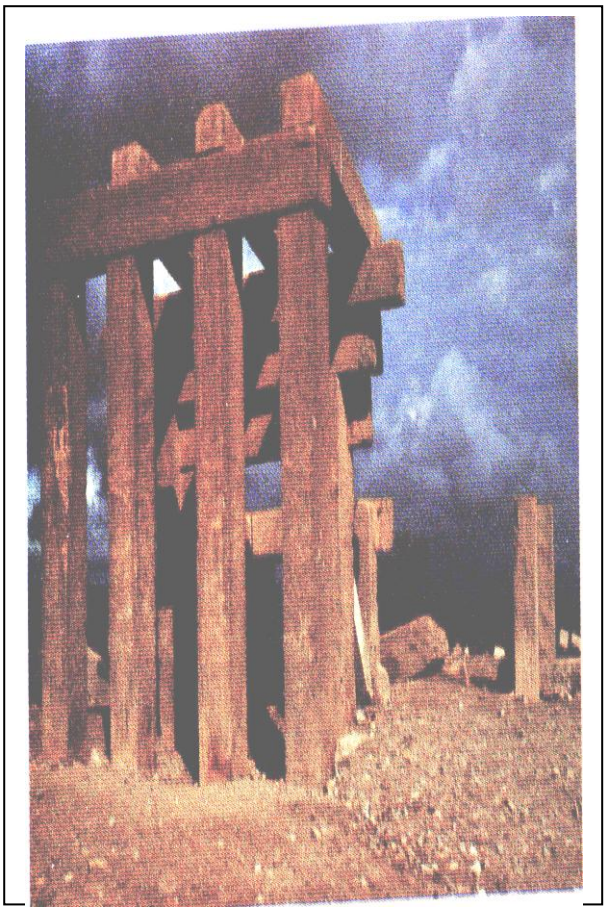

ب/ رواق مدخل ذو أعمدة لمعبد مأرب الكبير Christian Darles , Les Temples , Y. P. R . S , P . 130 .

ج/ معبد الإله ألمقة الكبير إله القمر بمأرب ، Burkhard Vogt , Marib , Capital De Saba , P . .

ش.2 (أ،ب،ج)

وذكر بلينيوس عدد معابد شبوة بستين معبدا بينما أكد علماء الآثار المعاصرون اكتشاف العديد من هذه المعابد منها اكتشاف معبد الحقة (Al Huqqa) شمال صنعاء ومعبد القمر في هريدة بحضرموت وفي مأرب اكتشف محرم بلقيس(Mahram Bilkis) أي معبد أوام معبود اتحاد القبائل السبئية ثم معبد شبـوة .

وعلى طول وادي حضرموت تنتشر عشرات الهياكل مثلما تنتشر بمنطقة الجوف مجموعة ضخمة من النصب والصروح الدينية كمعبد عثتر، واستخرج الأثريون معبد نقرح Nakrah ببراقش (يثيل قديما) ثم استكشف الألمان معبد برعان Bar'an في مأرب، وبذلك قدم الأثريون قراءة جديدة لتطور سلسلة الهياكل والمنجزات الدينية عبر كل مراحل المملكة السبئية والمواقـع [1] .

2) أسوار مقدسة محددة بمعالم حجرية أو جدران ويمكن تمييز أهم نماذجهـا :

* المعابد داخل الأسوار : وهي الأكثر عددا وقد أقيمت على مقربة من الأسوار في المدن ، ففي الفترة مابين القرنين 8 . 5 ق.م تم البناء بكل أبهة وفخامة في المعبد المعمد المرتكز سقفه على أعمدة داخل الأسوار حيث أن إقامة المعابد والصروح من الصخر وليس بعيدا عن يثيل نجد البناء بالصخورالمنحوتة

إن أسلوب البناء اليمني للمعابد يميز أقسام المعبد مثل مقصورات الآلهة أي موقع وضع التماثيل (Les Cellas) والسقيفات والرواقات أمام مدخل المعبد(Les Porches) ، فمعابد السبئيين كانت إذن بيضاوية الشكل أو مربعة في تصاميمها مثل معبد مأرب الكبير ومعبد خور روري بعمان ولذا أسس مكاربة وملوك سبأ معابد عديدة لعبادة آلهتم وبالأخص الإله القومي "ألمقـة" [2] .

وكان ملوك سبأ من عادتهم أنهم كلما فتحوا بلدة أو جهة ما إلا وقاموا بتأسيس معبدا لإلههم الرئيسي "المقة" ودعموا ذلك بكتابات وقرابين للإله تعبيرا عن رغباتهم وطلبا للدعم ، فالنص الموسوم بالرمز G484 يخلد ما قام به المكرب سمه علي بباء جدارمعبد أوام المخصص لعبادة الإله ألمقة (أوام بيت المقة) إله سبأ وقدم القرابين للإله عثتر كما ذكر الإله هوبس ويذكر النصG901 لصاحبه يدع إل ذرح بنائه لسور بيت المقة وهو معبد الإله بمدينة صـرواح [3] .

* المعابد والهياكل المنعزلة : وترتبط بممارسة طقوس ذات شكل فدرالي أي ما بين المدن والقبائـل بشكل مشترك أو لعمليات الحــج .

* معابد ذات ساحة ممتلئة بالأروقة : أي بالممرات المكشوفة والمسقوفة بعقود على الأعمــدة .

* معابد الجوف Jawf : تشكل تركيبا متجانس وهي متسعة ذات مجموعتين من العمارة .

---

(1) Christian Darles , Les Temples ''Les Royaumes Caravaniers'', P .132 .

(2) السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص.110 .

(3) جواد علي ، المرجع السابق ، ج.2 ، ص.272 .

* مجموعة المعابد الصغيرة لحضرموت وهي متماسكة وتتكون من مجموعتين (داخل وخارج الأسوار)

* مجموعة المعابد خارج الأسوار: مثل معبد نشق وتشكل مجموعة من مخطط معماري متماثل ،أي المدرج النصبي والشرفة السماوية المفتوحة حيث يتجه البناء أو البناءات على المقدس (مقصورة أو موضع تمثال الإله) وأحيانا ملاحق مثل ما يوجد في ريدان وأدى الوضع الطوبوغرافي الجبلي الوعر لتدعيم الشرفات بجدران حماية وإسناد ضخمة ،أما المقدس فوجدت ببلاد الجوف منذ الألف الأولى ق.م

3) مجموعة المعابد داخل الأسوار :

* المعابد ذات القاعات المعمدة (المرتكزة سقوفها على أعمدة) وتتواجد بكثرة في بلاد الجوف اليمني وحضرموت أو حتى قتبان المجاورة ،وتبدو محوددة في مناطق مابين الجوف ومأرب وهي ذات جدار محيط خارجي مزود برواق على شكل نصب مفتوحا على قاعة مدعم غطائها بصف من الأعمدة .

* ومعابد ذات المساحة المركزية المحاطة بالرواقات :(ممرات مكشوفة مسقوفة بعقود على أعمدة) وتتواجد كذلك في الجوف بالسوداء ومعين وكمنا Kamna وفي خربة حمدان ، وهي كلها معابد خارج الأسوار ذات أبعاد متوسطة تتضمن جدارا قويا للإحاطة مزود ببوابة أو مدخل يفتح بممر مغطى في ساحة معراة مفتوحة محاطة برواقات من كلا الجانبين .

وهذا إضافة لمعبد عثتر في السوداء (بنشان القديمة والذي اكتشفه (J.F.Breton) ومعبد خربة حمدان الذي اكتشفه هاليفي وهيكل يحتوي على بقايا مماثلة شرقي كمنا ، وهكذا نجد أن المعابد ذات الساحات المركزية مألوفة في الملكة السبئية[1] .

4) أهمية بناء المعابد والاهتمام بها : كان لبناء وترميم المعابد وإصلاحها عمل مقدس يتودد به الأعيان ومختلف أبناء الطبقة الحاكمة ورجال القبائل والمعماريين والزعماء ، ففي عهد المكرب سمه علي ذرح قام والده الشرح حسب الكتابة الموسومة بالرمزCIH347 ببناء جدار معبد ألمقة ورمم أبراج هذا المعبد[2] وكثيرا ما كان يتم التقرب بإضافة قسم للمعابد أو كتابة تاريخ ذكرى يخلد فيها الشخص الحدث ، فقد خلد تبع كرب وهو كاهنا "رشو" الآلهة ذات غضرن وقينا في عهد الملوك يدع إيل بين ويكرب ملك ثم يثع أمر بين خلد ذكراه في كتابة سجلها عند بنائه هو وأبنائه وأسرته جدارا لمعبد المقة وحفر خنادق وإنشاء بروج تعبيرا عن شكرهم لألمقة وعثتر وهوبس وذات حميم وذات بعدن وذات غضرن ، لأنها أنعمت عليه إذ كان قائما بالصلح مع قتبان ، وقدم شكره وحمده لألمقة إله سبأ الكبير خاصة ببناء ذلك الجزء من جدار المعبد الذي نصبت الكتابة عليه[3] .

---

(1) Christian Darles, Op.Cit, P.133 .

(2) جواد علي ، المرجع السابق ، ج.2 ، ص.316 .

(3) جواد علي ، المرجع السابق ، ج.2 ، ص . 319 .

لقد كان اهتمام الحكام السبئيين شديدا بتعمير وترميم المعابد ، ويذكر النصG1108 والنص G1109 أن المكرب يدع آل ذرح قد اعتنى بتعمير معبد ألمقة وأضاف أجزاء جديدة له ويذكر في أحدهما المقة وعثتر

وفي الآخر المقة وعثتر وذات حميم ، كما تدل الكتابات على أن المكرب يدع آل ذرح قد اهتم كثيرا ببناء معبد أوام بمارب "محرم بلقيس" .

وكان السبئيون بكل فئاتهم يخلدون ما ينجزونه من عمائر دينية أويرممونها لأنها جزء من حياتهم الفنية والدينية ومنطقتهم غنية بهذه البقايا من الألواح الصخرية والتماثيل والجدران ، وتذكر الكتابة (Cih490) والتي ينسبها فلبي لعهد المكرب يثع أمر وتر [1] أن هذا الحاكم قام بتجديد بناء معبد الإله هوبس في موقع الداير [2] ، ويشير النص Ph.77 أن المكرب يثع أمر بين بنى معبد نسور ومعبد علم ومعبدا في ريدان ومعبدا لذات بعدن في حنن وبني عدمن وعدة أبنية قرب باب معبد ذهبم .

وفي كتابة أخرى دونت عند تشييده مذبحا عند باب نونم "نوم"، كما يذكر نقش صرواح مآثر ومنجزات كرب إيل وتر العسكرية والعمرانية حيث يذكر ما قام به من منجزت دينية كما يشير النص J550 ما قام به كاهن ذات غضرن ببناء جزء من جدر معبد ألمقة ومنجزات عمرانية أخرى [3] .

كان لبناء المعابد ولاهتمام بها عمل مقدس لدى المجتمع السبئي ، فحياة الأسرة والأولاد تجد في المعابد ملاذا لما يصيبها من الأمراض وما ينقصها من أمن ورغبات وما تحتاجه من أملاك وأموال وتجارة ومحاصيل ، وبالتالي فإن التقرب من المعابد لمناجاة آلهتها والتودد لكهنتها وتقديم قرابينها تعتبر من أهم أنشطة هذا المجتمع التي يحتفى بها .

ولذا كان الاهتمام بالمعابد وترميمها وتوسيعها وتزيينها وتقديم القرابين لها عملا مقدسا وكما ذكر تبع كرب في نصه الموسوم بالرمز:J550 أنه أمر ببناء جزء من معبد ألمقة نيابة عن أهله ولحماية أمواله وحتى يهبه ألمقة ولدا وكذلك لمنحه مركز إدارة في الدولة .

وفي النص J552 لصاحبه أبو كرب (إيكرب) سجله عند إنجازه بناء وقربه لمعبد ألمقة حتى يبارك في أولاده وعبيده وأملاكه ، وفي النص J555 لصاحبه ذمر كرب بن إيكرب دونه عند إنهائه لبناء جدار معبد ألمقة وقدمه لإله المعبد حتى يبارك في ذريته ويحمي مقتنياته [4] .

لقد كانت إقامة المعابد وبنائها والاهتمام بها عملية مقدسة عند السبئيين ، ففي كل مدينة أو قرية نجد المعابد بجدرانها والمقيمين عليها بمذابحها التي تقدم فيها القرابين ومخازنها التي تجمع فيها الأغلال

---

(1) Philby , Le Muséon , LXII , 3,4 , 1949 , P . 248 .

(2) جواد علي ، المرجع السابق ، ص .275 .

(3) نفسه ، ص ص . 284 . 300 .

(4) نفسه ، ص . 302 .

والمؤن ، ففي مدينة صرواح عاصمة المملكة الأولى وجد معبد ألمقة (Almaka) كبير آلهة سبأ ومن هذه المدينة انتشرت عبادته بانتشار السبئيين ، ومن معابد هذا الإله التي بنيت في صرواح معبد يفعن "يفعان" الذي أولاه المكاربة أهمية فائقة[1] وقد أخذ المؤرخ والباحث أحمد فخري صورا لأنقاض معبد المقة بعد زيارته ولعدد من الكتابات ترجم بعضها الباحث ريكمانس م (Ryckmans .M)[2] .

فقد ركز السبئيون على بناء المعابد من بين مختلف أماكن تعبدهم وكانت تحمل صور الشعائر ومحاطة بسور ومزودة بساحة كبيرة داخلية ومنها الشكل البيضوي كما هو معبد المقة أو المستطيل الشكل كما هو الحال في معبد المساجيد (Al-Masajid) إلى جنوب مأرب فغالبية المعابد تتركب من صرح بسيط بشكل مستطيل مزود بمقدمة الهيكل ذات أعمدة ساندة 3) أهم المعابد السبئية :

ب) أهم المعابـد :

1) معبد صرواح الكبير (أوعال صرواح) : وعثر على بقاياه على مسافة 40 كلم من مأرب باتجاه الهضاب العليا ، ودونت في كتلة حائطية كتابتان كبيرتان في عشرين سطرا ، ومن بين حكام هذه الفترة الذين دونت مآثرهم وجد اسم المكرب الفاتح والموحد كرب إيل وتر بن ذمر علـي Dhamar Ali والذي أشارت حوليات الملك الآشوري Sennachérib 705. 681 ق.م له باسم كربيلو karibilu حيث كان قد أرسل للملك الآشوري أحجارا ثمينة وعطورا وهدايـا[3] .

شيد هذا المعبد بحجار مهندمة وهو عبارة عن مبنى مستطيل الشكل يحيط بجداره الشرقي سـور بشكل نصف دائري ممتد ، وقد جرت على بعض جدرانه وأجزئه تغيرات على مر العصور، وفي جداره الخارجي تبرز أفاريز لرؤوس الوعول بمقدار 3 . 5 سم تشاهد على ارتفاعات مختلفة منـه .

كما يلاحظ شريط بارز يمتد بمستوى واحد يتضمن نقشا مكون من سطر واحد يدور حول البنـاء بشكل متقطع يبلغ طول هذا الشق 21،55م وارتفاع انحراف فيه 26سم ، ويذكر هذا النقش(ي د ع ا ل / ذ ر ح / ب ن / س م هـ ع ل ي) مكرب سبأ هو الذي بنى هذا المعبد ومعبد (أوم) في مأرب في القرن 8 ق.م وبنمط معماري متقارب[4] .

2) معبد الإله الموقاة "ألمقة" : ففي عهد مملكة سبأ العصر الأول قام الملك الشرح بن سمه علـي ببناء جدار معبد الإله ألموقاة في محرم بلقيس بمأرب وترميم أبراجـه[5] .

---

(1) Philby , Le Muséon , LXI, 3,4, 1948 , P . 215 .

(2) Ahmeed Fakhry , An Archaeological Journy to Yemen , Cairo , 1958 , P .18 .

(3) Christian J . R , Op . Cit , P . 96 .

(4) مدينة صـرواح . MarebPress.asrarpress.Net/articles.php. 8.12.2001,07:22 .

(5) مهران م.ب ، المرجع السابق ، ص .287 .

ويرى المؤرخ بافقيه أن السبئيين شيدوا في الأراضي المجاورة لمأرب معبدا كبيرا لألمقة ومعبدا آخر لأوام الشهير بـ : محرم بلقيس بجانب معبودهم الشمس التي عرفت في سبأ بعدة ألقاب[1] ، فالنصوص تشير لكون المكرب يدع إيل ذريح ساهم في بناء المعبد المعروف بمحرم بلقيس المخصص لإله سبأ الرئيسي ألمقـه[2] .

فمعبد اوام (Awwam) أو محرم بلقيس (Mahram Bilkis)[*] قد تم التنقيب عنه مع بدايـة النصف الثاني من القرن 20 من طرف المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان (AFSM) وهو يمثل أكبر هياكل جنوب الجزيرة العربية الدينية ويتكون من سور بيضوي ومن ساحة معمدة ذات أعمدة ومـن ملاحق ثانوية عديدة ذات وظائف أخرى ومقبـرة .

وقد ذكر إسم الهيكل في كتابة منقوشة على السور البيضوي وهو مكرس لعبادة الإله "ألمقــة" ويتراوح محيط هذا السور بحوالي 300م ، كما كان يرتفع جداره الضخم عن 13 م وكان يضم أكثـر من46 مكانا وقاعدة مركبة فوق بعضها ، أما واجهات الجدار وحجارة الحافة من الوجهين فهي من كتل كلسية قائمة الزويا ومستطيلـة .

وتعتبر أقدم الكتابة على الجدار لعهد المكرب يدع إيل ذرح(Yada Il Dharih) ابن سمع علــي (Sumhu-Ali) مكرب سبأ والذي حكم في منتصف القرن 7 ق.م ، وهذه الكتابة تذكر بملوك سبـأ الذين حكموا قبل منتصف القـرن 5 ق.م .

فالساحة المعمدة تتراوح أبعادها بين 24x 19م مع أعمدتها الثمانية لمدخل المعبد وهي محاطة بـ : 32 ركيزة إسناد ورفع من كتل صخرية واحدية الأصل تحمي روافد وعوارض الرواق ، كما لوحـظ

---

(1) بافقيه م.ع ، المرجع السابق ، ص . 213 .

(2) مهران م.ب ، المرجع السابق ، ص . 275 .

(*) معبد ألمقة : المعبد الرئيسي للإله السبئي القومي ألمقه حيث كانت الشعوب المنظوية تحت إتحاد قبائل المملكة تتلقى الأوامر والتعليمات منه ، وإليه تقدم القرابين والنذور قصد الحصول على طلب معين عائلي أو صحي أو تجـاري أو شخصي أو حربي ، ويتم الحج إليه في شكل جماعي في شهر أبهي ، وبشكل فردي في شهر ذ هوبس وقد تم بناؤه في عهد المكرب يدع آل ذرح بن سمه علي خلال القرن 8 ق.م ، ويتكون المعبد من سور بيضاوي الشكل ، وتقدر أبعـاد المنطقة الواقعة داخله بـ : 100 x 75 م ، وسمك جدار السور بـ : 3،90م إلى 4،30 م ، وفي الجهة الغربية منـه توجد فتحة في سوره اتساعها 88 سم ، على شكل باب ، والمدخل الرئيسي في الجهة الشمالية الشرقية ، يتقدمه صفا من 8 أعمدة حجرية ، يبلغ ارتفاعها بين 4،65 . 5،30م ، شكلت فيما بينها وبين الجدار ساحة مستطيلة الشكـل أبعادها 23،97 x 19،15م ، ثم يأتي بعد ذلك ساحة أخرى في مبنى المعبد ، يليها ساحة كبيرة مكشوفة تحيطها 4 أروقة تقوم أسقفها الحجرية على أعمدة حجرية . لمزيد من المعلومات أنظر: محرم بلقيس "معبـد أوام" :
forum . sh 3 bwh.maktoob.com/t134971.htlm, 01/3/2008 .

.

وجود مجموعة أرضيات حجرية ومقعدين من المرمر متلاصقين مع الباب إضافة لوجود قناة تصريف طويلة تقود لحوض برونزي محكم الصنع مع كتابة بالخط المسند تشير لآخ يدع إيل ويثع أمر(Yatha Yadu'il و u-Amar-) وقد يكونون حكاما[1] ، وكان الرواق "الممشى" مزدانا بـ: 64 نافذة زائفة منحوتة وهي مقسمة وموزعة بنظام في الداخل ومتعددة المواضع ، ووجدت العديد من الصفائـح واللوحات النذرية المنحوتة إضافة لمجموعة كبيرة جدا من التماثيل الصغيرة منها تمثال معد كـرب (Ma'di Karib) ، وكان هذا الهيكل قد أفرغ من محتوياته أمام إهماله وهجره منذ القـدم[2] .

عرف معبد أوام بعدة أسماء (محرم بلقيس ومعبد المقة الكبير ومعبد الشمس) يقع على بعد 4 كلم جنوب شرقي عرش بلقيس ، وهو أكبر المعابد السبئية وأهمها وكرس لعبادة المقة (الآب) والشمـس (الأم) والزهرة (الإبن) ويختلف شكله عن بقية المعابد ، فهو اهليلجي منبعج قليلا من الجهة الشرقية وأبعاده 92 . 82 م وارتفاع جداره 9 م ، وأمام مدخله الرئيسي في الجهة الشمالية بهو ذو أعمـدة على جوانبـه .

3) معبد برعان (Baran) عرش بلقيس(Arsh – Bilkis) :

فبعد عمليات التنقيب مابين 1997.1988 من قبل المؤسسة الأثرية الألمانية ، تم اكتشاف هذا المجمع الديني، وكان هذا الصرح قد أهدي للإله القومي ألمقة (إله القمر) وهناك كتابات سبئية مسندة تشير لألمقة سبد برعان Bar'ân تعد بالوعيد كل من يتعرض بسوء لكنوز المعبد ، وهذا المعبد المجمع يقع خارج المدينة بوسط الواحات الجنوبية وهو مركب فخم بحوالي 62 إلى75م يضم العديد من الوحدات المعمارية منها فناء معبد أمامي وهياكل فرعية احتياطيـة .

ويعتبر المعبد ذي المنصة مركز هذا المجمع المعماري وقد عرف تغييرات جذرية منها بناء أربعـة صروح مركبة على المعابد بشكل ظاهـري .

فإذا كان المعبد في مجمع الأول يعود لنهاية القرن 9 ق.م والمعبد الثاني في المجمع الثاني يعـود للقرن 8 ق.م والمعبد الثالث في المجمع الثالث يعود للقرن 7 ق.م فإن المعبد الرابع فيعود للقرن5 ق.م ويلاحظ عليه إعادة توسيع لهياكله وقد تم بناؤه على قاعدة واسعة ومتينة تقدر بـ : 19،5 x 27،5 x 4 م واستعملت عناصر معمارية مادية وفنية جديدة وهذا المجمع الضخم تم بشكل هندسي ينم عـن النبوغ الفني والذوق الرفيع وهو ماظهر في مواضع أخرى كالقصر الملكي لشبوة (Shabwa) والبناء الفخم لتمنـع (Tamn'a) .

كان معبد برعان خلال القرن 5 ق.م بالنسبة للزائر والعابد محجا ومقاما لأداء المناسك وممارسـة

---

(1) William D.Glanzman , Awwam (Mahram Bilkis) Grand Temple D'almaqah , Y.P.RS, P145 . .

(2) William D.Glanzman , Op. Cit , P. 146 . ؛ جواد علي ، ج.2 ، ص.273 .

الطقوس وتقديم القرابين على سفح جدار السور الخارجي للفناء الأمامي والذي لم يعد منفذا للهيكـل

داخليا فحسب أي بالدخول للسور من خلال مدخله الرئيسي في الغرب ، وكانت المجموعة البنائيـة للمركب تفرض على المرء الإحساس بالرهبة والخوف كما كان الزائر يستقبل فيها داخل ساحة مغطاة من ثلاث جهات ومجمعة بواسطة صف من المساند المصنوعة من الصخور المشكلة من كتلة أحاديـة الأصل بعلو 4 م تقريبا ي بطول جدرانها ، وهذه الممرات مزودة بحواجز مرمرية ورسومات ناتئـة منحوتة في المرمر وهي تمثل رؤوس ضباء وغزلان جاثمـة[1] .

ووسط كل لوح تحمل كتابة إهدائية تشير لكون كل واهب سخي قد مول أقساما من المبنى أو تكريس نذر والعديد من المنحوتات للإله المقة ، وكانت الكتابات مرسومة باللون الأحمر الفاتح وكان فـن الزخرفة يظهر بشكل فخم مـع تعدد الألوان ، وفي داخل السور فإن الممرات مخصصة لوضع القرابين والنذور، وفي الساحة الأمامية للأضحيات الحيوانية ، أما في وسط الساحة فيتوفر الماء لأجل العمليات الدينيـة[2] .

ومن خلال الترميمات أو الإضافة التي تمت على المعبد فإن طقوسه كانت تتغير وهذا من خلال تقديم إسم الإله في برعان وهذا التغيير يدل على النذور والوقوف الجديدة التي قدمت للمعبد ، وكان الكهان وأصحاب المقام والرتـب العالية لوحدهم ينظمون ويسيرون التنظيمات الطقسية والشعائرية للقرابين المكرسة والمسخرة للآلهة وهم عـادة عامة الشعب الذين يقومون بالابتهال والتضرع للآلهة من أجل همومهم اليوميـة .

فالمعبد يضطلع بوظائف جديدة كما توجد عدة بنايات لورشات ومحلات في القطاع الموجود ضمـن السور المعمول من الآجر الصلب ، وكانت هذه المحلات تشتغل باستخراج المعادن حيث تمت صناعة تماثيل صغيرة من البرونز ومواد أخرى ذات طابع ديني للمتعبدين ، وهناك محيط آخر خصص بشكل واضح لغرفة الأكل ومن خلال عدة كتبات فإن المعبد كان في حلة ثرية بالقرابين والأموال والعمـال والممتلكات واشتمل على نخيل وحقول وأراضي زراعية واقعة حوله وظل مستغلا حتى بدايات فترة الطقوس التوحيدية (Monothéisme) في القرن 4 م .

لقد وجدت الهياكل في غالبيتها ضمن مجمع برعان في الفناء الأول للمعابد إذ يلاحظ 4 نمـاذج رئيسية منهـا :

. نموذج قديم (Archaïque) وهو طراز سابق للعهود الكلاسيكية من القرن 7. 6 ق.م متميـز بقاعدة متدرجة (Piédestal) وبجوانب مزخرفة ونوافذ زائفة وبجوانب علوية حيث نقشت فيهـا كتابات إهدائيـة .

---

(1) Burkhard Vogt , Les Temples de Ma'rib , P . 140 .

(2) Burkhard Vogt , Les Temples de Ma'rib , P . 140 .

. ونموذج ثاني يعود للقرون 5 . 4 ق.م ذو مظهر قائم الزوايا مستطيل الشكل وزخرفة أقل إتقانا[1]

. ونموذج ثالث ذو شكل مربع يتواجد في القسم الجنوبي بفناء المعبد .

. ونموذج آخر دائري الشكل ويحمل نقوشا تشير لشخص وقطعة أرضية وحتى نخيل مهدى للإله ألمقة وقطعتين مكتوبتين باسم الآلهة عثتر وهوبس Athtar Hawbas تشيران بنفس الطريقة ومعبد برعن ليس مكرسا للإله ألمقة فقط[2] ، ويعتبر عرش بلقيس أحد المنجزات الدينية التي ذكرتها النقوش السبئية باسم "معبد برأن" حيث وصف بأنه بيت الإله المقه "القمر" وورد إلى جانب ذلك ذات حميم "الشمس" وعثتار "الزهرة" وهو معبد يلي محرم بلقيس في الأهمية ويبعد عنه حوالي 2 كلم شمال غرب[*] .

لاحظ معبد برعان : ش. 3(أ،ب) ،ص.28 .

4) معبد النسائب : (An-nasa-ib) ويتضمن4 صفوف من7 أعمدة لبناءات من نفس النموذج (متجهة نحو المدن البيضاء ونقشان والسوداء) وتلتحق بهذه المجموعة معابد حضرموت الصغيرة[3]

5) معبد خور روري : وهو من المعابد المربعة التصميم شرقي حضرموت في عمان جدرانه بالغة السمك من 10 قدم فأكثر ، وفي داخل الجدار الشمالي بنيت ثلاثة جدران أخرى وليس هناك سوى مدخل واحد وهو مضيق أقيم في الجدار الشرقي وفي ساحة المعبد مذبحان وبئر ركب فيها صهريج[4] .

---

(1) Burkhard Vogt , Les Temples de Ma'rib , P. 141 .

(2) Burkhard Vogt , Op . Cit , P. 141 .

(*) تم التأكد من هذا البناء الديني الضخم من قبل إحدى البعثات الأثرية الألمانية بعد تنقيب المكان، وخلص تقرير البعثة أن هذا المعبد مر بمرحلتين تاريخيتين واضحتين على الجدران ، المرحلة الأولى امتدت من الألف الثانية حتى بداية الألف الأولى ق. م والمرحلة الثانية من سنة : 850 حتى نهاية الدولة السبئية ، ومعبد برأن بناء مربع الشكل به ساحة مكشوفة أمام قدس الأقداس (الأعمدة الستة) يتوسط الساحة البئر المقدس مع ملحقاته والحوض الحجري مستطيل الشكل يصله الماء عن طريق رأس الثور المقدس ، ويصل بين القاعة المكشوفة وقدس الأقداس 12 درجا ، وتطوق الساحة المكشوفة جدران من الجهات الجنوبية والشمالية الغربية، كما يوجد صف من الكراسي المرمرية الثابتة في الجهة الغربية منه .

وكان يوجد في الساحة الخلفية لقدس الأقدس تمثال للثور المقدس محمول على 6 أرجل بطول 4 م، وتقف الأعمدة على قواعد حجرية ثابتة ويحيط الساحة المقدسة للمعبد سور تعلوه 5 أبراج ثلاثة منها في الجهة الغربية وبرج في الجهة الشمالية وبرج من الجهة الجنوبية ، وفي الجهة الشمالية يقع الباب الرئيسي للمعبد . لمزيد من المعلومات أنظر: عبد الحكيم طاهر ، مأرب عنوان الحضارة السبئية وموطن الكنوز والآثار، جريدة 26 سبتمبر الأسبوعية ، العدد.1175 2011/9/19 ، ص.30 .

(3) Christian Darles , Op . Cit , P.139

(4) سباتينو موسكتي ، المرجع السابق ، ص. 198

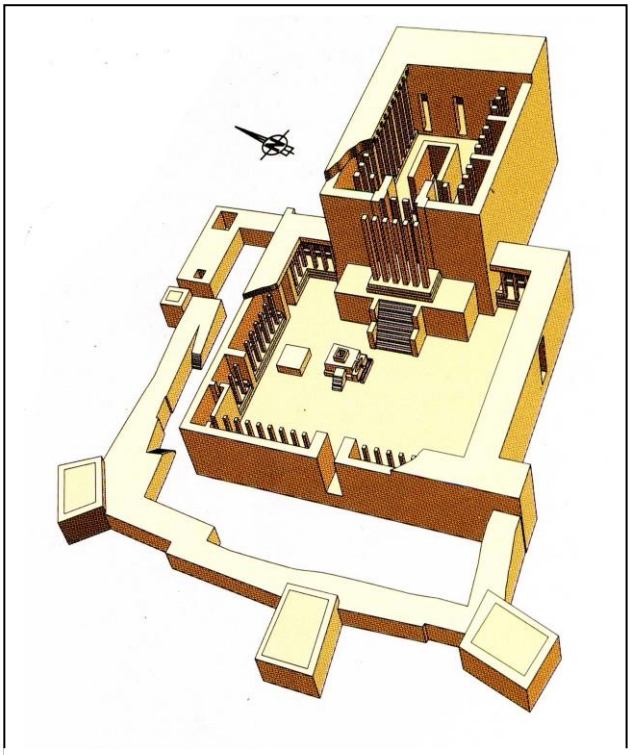

أ/ مخطط تصميم لمعبد برعان بمأرب عرش بلقيس "معبد ألمقه" . Burkhard vogt , les temples de ma'rib ,bar'an " arsh bilkis ou . temple d'almaqah , Y.P.R.S, P.140. 140 .

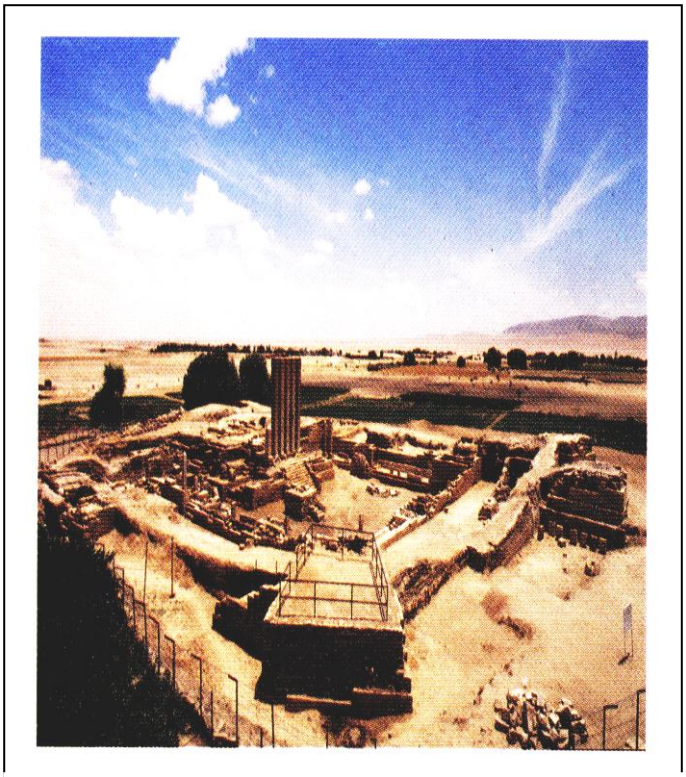

ب/ منظر فوتوغرافي من الجو لبقايا أطلال معبد برعـان . Burkhard Vogt ,Op. Cit , P . 140

ش.3(أ،ب)

6) معبد عثتر (Athtar) في نشـان(Nashshân) :

وتتجلى أصالة هذا المعبد من خلال زخرفته حيث توجد أربعة ركائز"دعامات" للمدخل الغربي مزخرفتان كلية وعلى أوجهها ألواح متوضعة طبقيا محاطة بدعامة من الأسفل للأعلى ويلاحظ رسم ثعابين ملتفة ورمح ووعول وعنز بري وأشكال نسوية وكتابة مع جرار وطيور النعام ، وركيزة أخرى تحف الساحة مزركشة من وجه واحد والوجه الآخر مزخرف بقرابين للإله عثتر (Athtar Dhu-Risaf) ، كما توجد أربعة من أوجه الركائز الشرقية مغطاة لنفس الأسباب بشكل أحسن ، وفي وسط هذه الرسومات البشرية يتجلى الفن بكل دقة خاصة الموجودة فوق قاعدة تمثال يرتدي صاحبه لباسا طويلا مقاسا على هيئته والشعر يعلوه بشكل خصلات ويحمل في ساعده الأيمن شيئا مجوفا والساعد الأيسر يحمل قصبة طويلة ، وقد ظهرت النسوة في أشكال غنية متنوعة في الرسم وكذلك كتابات القرابين الموجودة على البناء، ومن خلال تقرير البعثة الفرنسية لموقع هذا المعبد خلال سنوات 1988 . 1989 فإن هذا البناء كان يبدو على هيئة نموذجية للبناء المعماري الديني للعربية الجنوبية خلال القرن8ق.م (1) .

---

(1) Jean F.B , Nashshân , YPRS, PP . 136 -137 .

الخاتمــة

كانت المملكة السبئة من أهم ممالك الجنوب العربي وذلك بما خلفته من مآثر ومظاهر حضارية أكدت الشواهد الأثرية على الكثير منها ، كما أطنب المؤرخون لدرجة المبالغة في وصف تلك المظاهر إضافة لما أشارت له مختلف الروايات والنصوص الدينية من منجزات معمارية وقوة تجارتها وحكمة ملوكها وتنوع مجالسها وازدهار ثرواتها وسدودها وجنانهـا...

وكانت دراستها مقتصرة على جوانب من بعض تلك المظاهر الحضارية وهي التطور المعمـاري ومظاهره حيث تركزت الدراسة على ثلاثة مباحث تمت الإشارة في المبحث الأول للتطور والنهضـة المعماريين عموما من حيث عوامل نهضة المعمار السبئي ثم لتخليد وذكر المنجزات المعمارية (فـي النقوش والنصوص السبئية والأجنبيـة) .

وفي المبحث الثاني تعرضت الدراسة لمظاهر الفن والنهضة المعماريين في سبأ حيث أشرنا لمظاهر الفن والنهضة المعماريين ثم لوسائل وتقنيات المعمار السبئي ، وأخيرا تمت دراسة مختلف المشاريـع والمنجزات المعمارية ومنها بالأخص مشاريع ومنجزات الري والمعمار الفلاحي مثل السدود والآبـار والصهاريج ومشاريع الري الثانوية وذكر نماذج عنها كسد مـأرب .

ثم لمشاريع ومنجزات المعمار الديني والجنائزي وخاصة لذكر المعابد السبئية وأشكالها ومجموعاتها وذكر نماذج عنها كمعبد ألمقة وبرعان ، ولمختلف اللواحق والهياكل التعبدية الأخـرى .

وقد ألحقنا بالدراسة ملحقا يتضمن بعض أشكال السدود والمعابد السبئية ولأهم المراجع والمصـادر الواردة في الموضـوع .

بيبليوغرافيا المصادر والمراجع

أولا/ المصادر والمراجع العربيـة :

أ) المصـادر:

1) ابن رسته أبو علي أحمد بن عمر، الأعلاق النفيسة ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1891 .

2) الإصفهاني أبو الفرج علي حمزة بن الحسين القرشي ، بلاد العرب ، ط.1 ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر الرياض ، 1968/ 1417هـ .

3) البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي ، معجم ما استعجم ، ج.2 ، عالم الكتب ، القاهرة 1945 .

4) التوراة ، سفر الملوك الأول ، الإصحاح 10 ، الآية 14 ؛ سفر أخبار الأيام الثاني،الإصحاح 10 الايات :1 . 31

5) القرآن الكريم ، سورة النمل ، الآيات : الآيات : 22 . 24 .

6) الهمداني أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف ، صفة جزيرة العرب ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، 1974 .

7) ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ، معجم البلدان ، ج.3. 4 ، دار صادر ، بيروت ، 1977

ب) المراجـع :

1) أحمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ من القرن 14 ق.م إلى20م ، " دراسة جغرافية سياسية تاريخية شاملة" ، ط .2 ، مطابع البادية ، الرياض ، 1964 .

2) بافقيه محمد عبد القادر ، تاريخ اليمن القديم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، طبعة بيروت ، 1958 .
3) جرجي زيدان ، العرب قبل الإسلام ، ج.1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965 .
4) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج.1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1969
5) جون فرانسوا بروتون ، العربية السعيدة في عصر ملكة سبأ ، حوليات يمنية ، 2002 .
6) كريستيان جوليان روبان ، سبأ والسبئيون في حوليات يمنية ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ،2003 .
7) لوندين . أ . ج ، دولة مكربي سبأ "الحاكم الكاهن السبئي" ، ترجمة قائد محمود طربوش ، ط .1 منشورات دار جامعة عدن ، 2004 .
8) منذر عبد الكريم البكر ، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، تاريخ الدول الجنوبية في اليمن مطبعة جامعة البصرة ، مديرية دار الكتب ، بغداد ، 1980 .
9) مهران محمد بيومي ، دراسات في تاريخ العرب القديم " تاريخ العرب قبل الإسلام" ، ج .2 ، ط .10 المطبعة الأهلية للأوفست ، الرياض ، 1977.
10) عدنان ترسيسي ، بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى "اليمن العربية السعيدة" ، ط .2 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، 1990 .
11) فخري أحمد ، دراسات في تاريخ الشرق القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1963 .
12) سباتينو موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، دار الرقي ، بيروت ، 1986 .
13) السيد عبد العزيز سالم ، دراسات في تاريخ العرب "تاريخ العرب قبل الإسلام" ، منشورات شباب الجامعة للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 1974 .

ج) الرسائل الجامعية :

1) بشير عبد الرقيب ، دراسة أثرية للمواقع القديمة من المعافر ، رسالة ماجستير ، قسم الآثار كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، 2009 .
2) الحمادي هزاع محمد عبد الله ، أنظمة التاريخ في النقوش السبئية ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، معهد الآثار والأنثروبولوجيا ، قسم النقوش ، الأردن ، 1997 .
3) محمد عبد الحكيم شائف ، الأنثروبولوجيا الطبيعية وأهميتها لعلم الآثار ، رسالة ماجستير ، جامعة الخرطوم ، 1977 .
4) العريقي منير عبد الجليل ، بيوت المعبودات في مملكة سبأ ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، معهد الآثار والنثروبولوجيا ، قسم الآثار ، الاردن ، 1995 .

د) الدوريات :

1) بافقيه م.ع ، لمحات عن أعمال الصيانة والترميم في اليمن القديم ، مجلة دراسات يمنية ، العدد 36 مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، 1989 .
2) مجلة المؤرخ العربي ، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، ع.20 ، بغداد ، 1981 .
3) ميهوب غالب أحمد كليب ، الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر خلال الألف الأولى ق.م ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 27 ، العدد 1 + 2 ، 2011 .
3) عبد الحكيم طاهر ، مأرب عنوان الحضارة السبئية وموطن الكنوز والآثار ، جريدة 26 سبتمبر الأسبوعي ، العدد 1175 ، 2011/9/19 .
4) شنت علاء الدين عبد المحسن ، التاثيرات الحضارية بين مصر الفرعونية وشبه الجزيرة العربية في العصر الحديدي ، م.م.ع ، ع.11 ، مج.1 ، القاهرة .